سامي سويدان

المتاهة والتمويه في الرواية العربية

دار الآداب

... لا تظهر المدينة العربية معطًى مكانيًّا جامدًا، أو فضاءً خارجيًّا محايدًا. إنّها تتقدّم، قبل أيّ شيء آخر، مَركزًا لأنماط متعدّدة من القمع والإرهاب، بيّنة وخفيّة. إنّها ساحةُ صراعات تجد الشخصيّاتُ نفسَها، والمثقّفُ بينها، منخرطةً في تيّاراتها الجارفة، متورّطةً في معاركها الدائرة، ومحكومةً بنتائجها ومضاعفاتها المأساويّة الرهيبة. لكنّ النصّ الروائيّ لا يكتفي بتقديم المدينة فضاءً من الرعب المجلجل بلاءً ودمارًا بين التعذيب (في السجن) والتشويه (في «المصحّ العقليّ»)...؛ ولا يتوقّف عند رصدِ معاناةِ المثقّف لهذا القمع...؛ وإنّما يمضي، في إيلائه الصوتَ الراوي إلى هذا المثقّف حينًا وإلى غائبٍ غفلٍ حينًا آخر، إلى محاولة استدراج القارئ إلى موقفٍ ممّا يروى. على أنّ المرويّ ليس نقلاً لحدثٍ، بقدْرِ ما هو وجهةُ نظر أو موقف ذاتي خاصّ بشأنه...